شِفَـاءُ العَلِيلِ، بِتَحْوِيلِ البُرْدَةِ مِنْ بَحْرِ البَسِيطِ إِلَى بَحْرِ الطَّوِيلِ

حَمْدًا لِمَنْ بَسَطَ يَدَيْهِ بِوَافِـرِ النعَمِ . لِمَنْ مَد إِلَيْهِ اليَدَ فَمَلَأَهَا مِنْ كَامِلِ الفَضْلِ الأَتَم. وَجَعَلَ الوَاسِطَةَ فِي دَرْكِهَا رَسُولَهُ. الذِي أَبْلَغَهُ مِنَ القُرْبِ مِنْهُ سُولَهُ. عَلَيْهِ السلامُ طُولَ الدوَامِ.

وَبَعْدُ فَيَقُولُ خَدِيمُ الحَضْرَةِ المُحَمدِيةِ. عَلَيْهَا أَتَم التحَايَا السرْمَدِيةِ. أَحْمَدُ سُكَيْـرج غَفَرَ ا ُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ، وَأَحْسَنَ لَهُمَا وَإِلَيْهِ. إِني بَعْدَمَا حَولْتُ بُرْدَةَ الِإمَامِ البُوصَيْـرِي إِلَى بَحْرِ الخَفِيفِ بِالمَعْنَى فِي قَصِيدَتِي المُسَماةِ بِالعدةِ التِي مَطْلَعُهَا:

أَمِنَ الذكْرَى قَدْ عَرَاكَ بُكَاءُ   مَازَجَتْهُ مِنْ مُقْلَتَيْكَ دِمَـاءُ

وَبِاللَّفْظِ فِي قَصِيدَتِي المُسَمَّاةِ بِالتَّرْصِيعِ وَمَطْلَعُهَا:

صَاحِ مَاذَا أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَا   نٍ بِذِي سَلَمٍ أَطَـلْتَ بُكَـاءَ

وَقَفْتُ عَلَى قَصِيدَةٍ سَمَّاهَا نَاظِمُهَا بِاليَوَاقِيتِ اللَّدُنِيَّةِ فِي الأَمْدَاحِ النَّبَـوِيَّةِ، حَوَّلَ فِيهَا البُرْدَةَ مِنَ البَسِيطِ إِلَى بَحْرِ المُنسرحِ يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا:

أَمِنْ تَذَكُّرِ عُرْبِ ذِي سَلَمِ   دُمُوعُ عَيْنِيكَ مَزْجُهَا بِدَمِ
أَمْ هَبَّ طِيبُ نَسِيمِ كَاظِمَةٍ   أَمْ نُورُ بَرْقٍ أَضَاءَ مِنْ إِضَمِ

وَلَمْ يَأْلُو جُهْدًا فِي مُتَابَعَةِ الأَصْلِ لَفْظًا وَمَعْنَى إِلَّا مَا أَدَّى لِمُخَالَفَتِهِ عَدَمُ المُوَافَقَةِ وَزْنًا. وَالْتَزَمَ مُقَابَلَةَ كُلِّ بَيْتٍ بِبَيْتٍ كَمَا الْتَزَمَ الرَّوِيَ الَّذِي عَلَيْهِ المَبْنَى. فَسَنَحَ لِي نَقْلها مِنْ بَحْرِ الخَفِيفِ إِلَى بَحْرِ الطَّوِيلِ فَقُلْتُ وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ:

أَمِنْ ذِكْرِ جِيرَانٍ أَقَامُوا بِذِي سَلَمْ   مَزَجْتَ دُمُوعَ العَيْنِ مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمْ

أَمِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ جَرَتْ   وَأَوْمَضَ بَرْقٌ فِي الدَّيَاجِي مِنْ إِضَمْ

فَمَالَكَ إِنْ لِلْعَيْنَ قُلْتَ اكْفُفِي هَمَتْ   وَإِنْ قُلْتَ لِلْقَلْبِ الكَئِيبِ اسْتَفِقْ يَهِمْ

أَتَحْسِبُ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ وَقَدْ   غَدَا بَيْنَ مُنْهَلِ الدُمُوعِ وَمُضْطَرِمْ

فَلَوْلاَ الهَوَى لَمْ تَبْكِ مِنْ طَلَلٍ وَلاَ   أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالحِجْرِ وَالعَلَمْ

فَلاَ تُنْكِرِ الحُبَّ الَّذِي شَهِدَتْ بِهِ   عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالوَجْدِ وَالسَّقَمْ

وَأَثْبَتَ خَطَّيْ عَبْرَةٍ ذَلِكَ الضَّنَى عَلَى الخَدِّ أَضْمَتْ كَالبَهَارِ أَوْ العَنَمْ
نَعَمْ قَدْ سَرَى طَيْفُ الحَبِيبِ فَسَرَّنِي وَيَعْتَرِضُ الحُبُّ اللَّذَاذَةَ بِالأَلَمْ
فَيَالائِمِي فِي الحُبِّ مَعْذِرَةً وَلَوْ طُعِمْتَ الهَوَى أَوْ كُنْتَ تُنْصِفُ لَمْ تَلُمْ
عَدَتْكَ أُمُورٌ سِرُّهَا غَيْرُ مُخْتَفٍ عَنْ العَاذِلِ العَادِي وَدَائِيَ مَا انْحَسَمْ
مَحَضْتَنِيَ النُّصْحَ الَّذِي لَسْتُ سَامِعًا لَهُ وَالمُحِبُّ عَنْ ذِوِي العَذْلِ فِي صَمَمْ
وَإِنِّي اتَّهَمْتُ الشَيْبَ فِي العَذْلِ نَاصِحًا وَأَبْعَدُ شَيْءٍ نُصْحُ شَيْبِي عَنِ التُّهَمْ
وَأَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ بِهِ مِنَ الجَهْلِ بِالإِنْذَارِ بِالشَّيْبِ وَالهَرَمِ
وَمِنْ خَيْرِ فِعْلٍ مَا أَعَدَّتْ قِرَى لَمَّا أَلَمَّ بِرَأسِي ضَيْفُنَا غَيْرِ مُحْتَشِمْ
فَلَوْ لَمْ أُوَقِّرْهُ كَتَمْتُ الَّذِي بَدَا مِنَ السِّرِّ لِي مِنْهُ عَنِ الغَيْرِ بِالكَتَمْ
فَمَنْ لِي بِإِلْحَامِ لِجَامِحِهَا كَمَا تُرَدُّ جِمَاحُ الخَيْلِ لِلْخَيْرِ بِاللُّجُمْ
فَلاَ تَرْمِهَا فِي اللَّهْوِ فِي كَسْرِ شَهْوَةٍ فَإِنَّ الطَّعَامَ مُكْثِرٌ شَهْوَةَ النَّهَمْ
وَمَا النَّفْسُ إِلاَّ كَالصَّبِيِّ يَشِبُّ فِي رَضَاعٍ وَإِنْ تَفْطِمْهُ بِالرَّغْمِ يَنْفَطِمْ
فَحَاذِرْ هَوَاهَا أَنْ تُوَلِّيَهُ فَإِنْ تَوَلَّى الهَوَى فِي الحِينِ يُصْمِكَ أَوْ يَصِمْ
وَنَفْسَكَ رَاعٍ وَهْيَ مُنْقَادَةٌ فَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى بِسَوْمٍ فَلاَ تُسِمْ
فَكَمْ حَسَّنَتْ مِنْ لَذَّةٍ تَقْتُلُ الفَتَى وَلَمْ يَدْرِي مِنْهَا السُّمَّ قَدْ دُسَّ فِي الدَّسَمْ
وَكُنْ تَخْتَشِي فِي الجُوعِ وَالشِّبَعِ الرَّدَى فَرُبَّتَمَا جُوعٍ أَشَرُّ مِنَ التُّخَمْ
وَأَقْرِعْ مِنَ العَيْنِ الَّتِي امْتَلأَتْ قَذًا الـــمَحَارِمِ وَالزَمْ حِمْيَةَ الخَوْفِ وَالنَّدَمْ
وَخَالِفْ هَوَى الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ دَائِمًا وَإِنْ مَحَضَاكَ النُّصْحَ فِي الخَيْرِ فَاتَّهِمْ
وَلاَ تَكُ تَرْضَى مِنْهُمَا الحُكْمَ مُطْلَقًا فَإِنَّكَ تَدْرِي كَيْدَ خَصْمِكَ وَالحَكَمْ
فَهَا أَنَذَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ حَيْثُ قَدْ نَسَبْتُ بِمَا قَدْ قُلْتُ نَسْلاً لِذِي عُقُمْ

أمَـرْتُكَ خَيْـرًا لَـمْ أكُـنْ أأْتَـمِـرْ بِـهِ وَلَمْ أسْتَقِـمْ حَتَّى أقُـولَ لَـكَ اسْتَقِمْ

وَلَـمْ أتَـزَوَّدْ قَـبْلَ مَـوْتِـيَ طَـاعَـةً وَغَـيْرَ فُرُوضِـي لَـمْ أُصَلِّ وَلَـمْ أصُـمْ

ظَلَمْتُ بِجَهْلِي سُنَّةَ السَّيِّدِ الَّذِي اشْتَكَتْ فِي المُصَلَّى رِجْلُهُ الضُرَّ مِنْ وَرَمْ

وَشَدَّ مِن الجُوعِ الحَشَا وَطَوَى عَلَى الحِجَارَةِ كَشْحًا لَمْ يَـزَلْ مُـتْرَفَ الأدَمْ

وَمِنْ ذَهَبٍ شُـمُّ الـجِبَـالِ لَـهُ أتَتْ وَلَـكِـنْ أرَاهَـا عِـنْدَهُ أيَّـمَـا شَـمَـمْ

ضَرُورَتُـهُ زَادَتْـهُ فِـيهَـا زَهَـادَةً وَمَـا نَـظَـرٌ يُنْمِـي الـضَّرُورَةَ لِلْعِصَمْ

مُحَالٌ تَمِيلُ النَّفْسُ مِنْهُ إلَى الدُّنَى وَلَـوْلاَهُ لَمْ تَخْرُجْ دُنَانَا مِـنَ الـعَـدَمْ

مُحَمَّدُ المُخْتَارُ فِي الثَّقَلَيْنِ وَالْـفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ جَمِيعًا وَمِنْ عَجَمْ

هُـوَ الآمِـرُ النَّاهِي فَلَا أحَـدٌ أبَـرَّ فِـي قَوْلِ لاَ مِـنْهُ حَقِيقًا وَلاَ نَـعَـمْ

وَهْوَ الَّذِي تُرْجَى شَـفَاعَتُـهُ لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأهْوَالِ فِي الكَوْنِ مُقْتَحَمْ

بِهِ المَاسِكُونَ اسْتَمْسَكُوا بِعُرَى الهُدَى وَلاَ زَالَ فِي تَوْثِيقِهِ غَيْرَ مُـنْفَصِـمْ

وَفِي خَلْقِهِ وَالخُلْقِ قَدْ فَاقَ الأنْبِيَا وَمَـا قَـارَبُـوهُ فِي عُـلُومٍ وَفِـي كَـرَمْ

وَكُـلُّهُمُ مِنْ كَـفِّهِ الْتَمَسَ الـغِنَـى فَصَبَّ عَلَيْهِمْ جُـودَهُ صَيِّبُ الـدِّيَـمْ

وَهُـمْ وَاقِـفُـونَ عِـنْدَ حَـدِّهِـمُ لَـدَيْهِ مِـنْ نُقْطَـةٍ لِلْعِـلْمِ أوْ شَكْلَةِ الحِكَمْ

لَـقَدْ تَمَّ مَعْنَـاهُ وَصُـورَتُهُ لِدَى اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَـارِئُ الـخَلْـقِ وَالـنَّسَمْ

عَـلاً عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فِيهِ دَائِمًا غَيْرُ مُنْقَسِمْ

فَدَعْ مَـاالنَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمُ ادَّعَتْ وَفِي قَدْرِهِ احْكُمْ بِالَّذِي شِئْتَ وَاحْتَكِمْ

إلَى ذَاتِهِ انْسُبْ كُلَّ مَا شِئْتَ مِنْ عَـلاً وَمَا شِئْتَ فِي مِقْدَارِهِ انْسُبْهُ مِنْ عِظَمْ

فَـإنَّ رَسُـولَ اللَّهِ لَـيْسَ لِفَضْلِـهِ حُـدُودٌ فَيُبْدِي نَـعْتَـهُ نَـاطِـقٌ بِـفَـمْ

فَلَـوْ نَـاسَـبَـتْ آيَـاتُـهُ حَـقَّ قَـدْرِهِ لَأحْيَ اسْمُـهُ عِنْدَ الدُّعَا دَارِسَ الرِّمَمْ

فلَمْ يَمْتَحِنَّا بِالَّذِي حَيَّر النُّهَى		فَفُزْنَا ولَمْ نَرْتَبْ لَدَيْهِ ولَمْ نَهِمْ

وَعَنْ فَهْمِ مَعْنَاهُ تَكِلُّ النُّهَى فَلاَ		تَرَى فِي الوَرَى فِي دَرْكِهِ غَيْر مُنْفَحِمْ

كَشَمْسٍ بَدَتْ لِلعَيْنِ مِنْ بُعْدٍ صَغِيـرَةً وَتَكِلُّ الطَّرْفَ بِالنُّورِ مِنْ أَمَمْ

حَقِيقَتُهُ جلَّتْ فكَيْفَ بُلُوغُهَا		لِقَوْمٍ تَسَلَّوْا عَنْهُ فِي النَّوْمِ بِالحُلُمْ

فَمَبْلَغُ عِلْمِ الخلْقِ فِيهِ بِأَنَّهُ		هُوَ البَشَرُ الأَعْلَى عَلَى الخَلْقِ كُلِّهِمْ

وآيٌّ أتَى الرُّسْلُ الكِرَامُ بِهَا فَإِنَّـمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ فِي الوَرَى بِهِمْ

وَمَا هُو إِلَّا الشَمْسُ هُمْ أَنْجُمٌ بَدَتْ		لِتُظْهِرَ أَنْوَارًا لَهَا فِي دُجَى الظُّلَمْ

فَأَكْرِمْ بِخَلْقٍ زَانَهُ خُلُقٌ أَتَى		بِأَحْسَن وَجْهٍ مِنْهُ بِالبِشْرِ مُتَّسِمْ

هُوَ الزَهْرُ فِي زَهْوٍ هُوَ البَدْرُ فِي عَلَا		هُوَ البَحْرُ فِي جُودٍ هُوَ الدَّهْرُ فِي هِمَمْ

يُرَى وَهْوَ فَرْدٌ مِنْ جَلالَتِهِ كَأَنَّـهُ فِي كَبِيرِ الجَيْشِ قَدْ حُفَّ بِالحَشَمْ

كَأَنَّ اللَّآلِي مِنْهُ كَانَ بَهَاؤُهَا		وَمَعْدِنُهَا نُطْقٌ لَدَيْهِ وَمُبْتَسَمْ

فَلاَ طِيبَ سَاوَى رِيحَ تُرْبَ ضَرِيحِهِ		فَطُوبَى لِمَنْ قَدْ شَمَّهُ وَلَهُ التَثَمْ

وَمَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ أَبَـانَ يَا طِيبَ بَدْءٍ مِنْهُ كَانَ وَمُخْتَتَمْ

تَفَرَّسَ فِيهِ الفُرْسُ أَنَّهُمُ قَد أُنْـذِرُوا بِحُلُولِ البُؤْسِ وَالطَّرْدِ وَالنِّقَمْ

وَإِيوَانُ كِسْرَى بَاتَ مُنْصَدِعًا كَشَمْـلِ أَصْحَابِ كِسْرَى قَدْ عَدَا غَيْرَ مُلْتَئِمْ

وَقَدْ خَمَدَتْ نَارٌ لَدَيْهِمْ مِنَ الأَسَى		عَلَيْهِ وَنَهْرٌ سَاهِيُ العَيْنِ مِنْ سَدَمْ

وَسَاوَةَ قَدْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا وَرُدَّ		وَارِدُهَا بِالغَيْظِ فِي الضَمَئِ المُهِمْ

كَأَنَّ بِتِلْكَ النَّارِ قَدْ صَبَّ مَاؤُهَا		وَجَفَّفَهُ مَا كَانَ بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمْ

وَكَمْ هَاتِفٍ وَالنُّورُ يَسْطَعُ فِي الدُّجَا		وَلِلحَقِّ مَعْنَى يَسْبِقُ الذِهْنَ مِنْ كَلِمْ

عَمُوا وَأَصَمَّ اللَّهُ آذَانَهُمْ فَمَا		صَغُوا لِتَبَاشِيرٍ وَبَرْقُهُ لَمْ يُشَمْ

وَقَدْ أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ بِأَنَّ دِينَهُمُ المُعْوَجَّ مِنْ بَعْدُ لَمْ يَقُمْ
وَمُذْ عَايَنُوا فِي الأُفْقِ يَنْقُضُ شُهْبَهُ عَلَى وَفْقِ مَا فِي الأَرْضِ يُنْقَضُ مِنْ صَنَمْ
غَدَا عَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ مِنَ الشَّـــــــــــيَاطِينِ يَقْفُو مِنْهُمُ إِثْرَ مُنْهَزِمْ
كَأَنَّهُمُ أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ وَعَسْـــــــــــكَرٌ بِالحَصَى مِنْ كَفِّهِ قَدْ رُمِي فَعَمْ
وَقَدْ سَبَّحَتْ فِي كَفِّهِ قَبْلَ نَبْذِهَا كَتَسْبِيحِ مَنْبُوذٍ مِن أَحْشَاءِ مُلْتَقِمْ
لِدَعْوَتِهِ الأَشْجَارُ سَاجِدَةً أَتَتْ وَتَمْشِي عَلَى سَاقٍ إِلَيْهِ بِلاَ قَدَمْ
وَقَدْ سَطَّرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ فُــــــــــــرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ السِّرِّ بِالخَطِّ فِي اللَّقَمْ
مَثِيلُ الغَمَامِ حَيْثُمَا سَارَ سَائِرٌ يَقِيهِ وَطِيسًا لِلْهَجِيرِ قَدْ اضْطَرَمْ
فَبِالقَمَرِ المُنْشَقِّ أُقْسِمُ أَنَّهُ لَهُ نِسْبَةٌ مِنْ قَلْبِهِ بَرَّةُ القَسَمْ
وَمَا قَدْ حَوَاهُ الغَارُ مِنْ كَرَمٍ وَكُــــــــــــلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي أَصَمْ
وَلَمْ يَرِمِ الصِّدِّيقُ فِيهِ كَصِدْقِهِ وَقَالُوا بِأَنَّ الغَارَ مَا فِيهِ مِنْ أَرِمْ
وَظَنُّوا الحَمَامَ وَالعَنَاكِبَ لَمْ تَكُنْ عَلَى سَيِّدِ الأَرْسَالِ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمْ
وِقَايَةُ رَبِّي عَنْ مُضَاعَفَةِ الدُّرُوعِ أَغْنَتْ وَعَنْ عَالِي التَّحَاصِينِ وَالأُطُمْ
مَتَى سَامَنِي دَهْرِي بِضَيْمٍ وَجِئْتُهُ وَجَدْتُ جِوَارًا عِنْدَهُ لِيَ لَمْ يُضَمْ
وَإِنْ أَلْتَمِسْ نَفْسِي غِنَاهَا لَدَيْهِ مِنْ يَدَيْهِ تَجِدْ مِن فَضْلِهِ خَيْرَ مُسْتَلِمْ
فَرُؤْيَاهُ حَقٌّ لَيْسَ يُنْكَرُ وَحْيُهَا فَإِنْ نَامَتِ العَيْنَانِ فَالقَلْبُ لَمْ يَنَمْ
وَحِيــــنَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ فَلَيْــــــــــــسَ يُنْكَرُ مِنْهُ فِي الوَرَى حَالُ مُحْتَلِمْ
لَكَ اللَّهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ وَلاَ نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ أَبَانَ بِمُتَّهَمْ
فَكَمْ أَبْرَأَتْ بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ أَذًى وَفَكَّتْ مُعَنًّى فِيهِ مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمْ
وَدَعْوَتُهُ قَدْ أَحْيَتِ السَّنَةَ الَّتِي بِهِ قَدْ غَدَتْ غَرَّاءَ فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمْ

بعَارِضِ جُودٍ مِنْـهُ خِلْتَ البِطَـاحَ قَدْ تـَحَلـَّتْ بِـسَيْـبِ اليَـمِّ أَوْ سَيْـلـَـةِ الـعَـرِمْ
فَـدَعْنِـي وَوَصْفِـي آيَـةٍ ظَـهَـرَتْ لـَهُ بِـحَـقٍّ ظـُـهُـورَ الـنـَّـارِ لـَيْـلاً عَـلـىَ عَلـَمْ
وَيَـزْدَادُ حُسْنُ الـدُّرِّ مُنْتَظِمًا ولـَيْـــــــسَ يَنْقُـصُ قَـدْرًا سَـوْمُـهُ غـَيْـرَ مُنْتَظِمْ
فَمَـا وَصَـلَ الـمُـدَّاحُ كـَلَّا لِمَـا لـَدَيْــــــــهِ مِـنْ كـَرَمِ الأَخْلَاقِ فِـي الـخُـلْـفِ وَالشِّيَمْ
لـَـهُ آيُ حَـقٍّ مُـحْدَثٌ لَـفْـظـُـهَـا قَدِيــــــــمَةٌ صِـفَـةُ المَـوْصُوفِ فِي الـخَلْقِ بِالـقِدَمْ
سَمَتْ فِي المَعَالِي وَهْيَ تُخْبِرُنَا عَنِ الـــــــــمَعَادِ وَعَــنْ عَــــادٍ وَسُــدٍّ وَعَـــنْ إِرَمْ
وَدَامَـتْ فـَفَاقَـتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ مِنَ النَّـــــــــبِيئِينَ إِذْ جَـاءَتْ وَفِـي الـكَـوْنِ لـَمْ تـَدُمْ
مُـحْكَّمَـةٌ لَمْ تُبْقِـي مِن شُبَـهٍ لِذِي شِقَـاقٍ وَمَـا تَبْـغِـي لـَهَـا الـغَيْـرَ مِنْ حَـكَمْ
وَمَـاحُـورِبَـتْ إِلاَّ وَعَـادَ عَـدُوُّهَـا الـــــــــمُعَادِي لـَهَـا بَيْـنَ الـوَرَى مُلـْقِـى الـسَّلَمْ
بَـلاَغـَتـُهَـا رَدَّتْ مُعَـارِضَـهَـا كـَمَـا يَـرُدُّ يَـدَ الـجَانِـي الـغَيْـورُ عَـنِ الـحُـرَمْ
مَـعَـانٍ لـَهَـا كـَالـمَـوْجِ فِـي مَـدَدٍ وَفـَـــــــــوْقَ جَوْهَـرِهِ فِـي الـحُـسْنِ وَالـقَدْرِ وَالِقيَـمْ
عَـجَـائِـبُـهَـا فـَاقـَتْ عَـنِ العَدِّ وَهْـيَ لاَ تـُسَـامُ عَـلـَى الإِكـْثـَـارِ فِـي الـعَـرْضِ بِالسَّأَمْ
بِـهَـا عَـيْـنُ قـَارِيـهَـا تـَقـَـرُّ فـَقُـلْ لـَهُ ظـَفِـرْتَ بِـحَـبْـلِ الـلَّـهِ بِـالـفَـوْزِ فـَـاعْـتـَصِـمْ
فـَإِنْ تـَتْـلُـهَـا مِـنْ خِـيـفَـةِ الـنَّـارِ أَطـْفَـأَتْ حَـرَارَةَ تِـلـْكَ الـنَّـارِ مِنْ وِرْدِهَـا الـشَّـبِمْ
هِـيَ الـحَـوْضُ تَبْيَضُّ الـوُجُوهُ بِهِ مِنَ الـــــــــعُصَاةِ وَقـَدْ جَـاؤُوهُ مِـنْ قـَبْـلُ كـَالـحُـمَـمْ
وَفِـي عَـدْلِـهَـا قـُسْطـَاسُ خَـيْـرِ مُـحَـقَّـقٍ وَمِـنْ غَـيْـرِهَـا الـقِسْـطُ الـمُـؤَمَّـلُ لـَمْ يَـقـُمْ
فَـلاَ تـَعْـجَـبَـنْ مِنْ حَـاسِـدٍ رَاحَ مُـنْـكِـرًا لـَهَـا وَهْـوَ عَـيْـنُ الـحَـاذِقِ الـمُـعْـجَـبِ الـفَـهِـمْ
فـَمِـنْ رَمَـدٍ قـَدْ تـُنْـكِـرُ الـعَـيْـنُ نـَيِّـرًا وَيُـنْـكِـرُ طـَعْـمَ الـمَـا فـَـمٌ عِـنْـدَهُ سَـقـَمْ
فَـيَـا خَـيْـرَ مَـنْ يَـاتِـي الـعُـفَـاةُ لِـبَـابِـهِ سُـعَـاةً عَـلـَى الأَشْـوَاقِ وَالأَيْـنُـقِ الـرُّسُـمْ
وَيَـا آيَـةً كـُبْـرَى لِـمُـعْـتَـبِـرٍ بِـهِ وَيَـا نِـعْـمَـةً عُـظْـمَـى تَـبَـدَّتْ لِـمُـغْـتَـنِـمْ

إِلَى الحَرَمِ الأَقْصَى سَرَيْتَ كَمَا سَرَى   بِـأَوْجِ عُـلاَهُ الـبَـدْرُ فِـي غَـيْـهَـبِ الظُّلَمْ

سَمَوْتَ إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَـةً كَقَـــــابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ لِعَبْدٍ وَلَمْ تُرَمْ

بِـهَا قَدَّمَتْكَ الأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمُ   كَتَقْدِيمِ مَخْدُومٍ عَظِيمٍ عَلَى خَدَمْ

وَتَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ بِمَوْكِـــــبٍ كُنْتَ فِيهِ سَيِّدًا صَاحِبَ العَلَمْ

لِمُسْتَبِـقٍ لَمْ تُبْقِ شَأْوًا مِنَ الدُّنُــــوِّ فِيهَا وَلاَ مَرْقَى تُرَقِّي لِمُسْتَنِمْ

خَفَضْتَ مَقَامًا لِلعُلاَ بِإِضَافَةٍ   إِلَيْكَ وَقَدْ نُودِيتَ بِالرَّفْعِ كَالعَلَمْ

عَسَى أَنْ تَنَالَ الوَصْلَ مُسْتَتِرًا عَنِ الــــعُيُونِ و تَحْظَى بِالَّذِي هو مُكْتَتِـــمْ

فَحُزْتَ فَخَارًا غَيْرَ مُشْتَرَكٍ وَ جُـــــزْتَ كُلَّ مَقَامٍ فِي العُلاَ غَيْرَ مُزْدَحَمْ

وَمِقْدَارُ مَا وُلِيتَ مِنْ رُتَبٍ عَلاَ   وَقَدْ عَزَّ إِدْرَاكُ الَّذِي نِلْتَ مِنْ نِعَمْ

فَيَا مَعْشَرَ الإِسْلاَمِ إِنَّ لَنَا مِنَ الـــــعِنَايَةِ رُكْنًا شَامِخًا غَيْرَ مُنْهَدِمْ

دَعَا اللَّهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ لَدَى الـــــوُجُودِ فَكُنَّا بِالنَّبِي أَكْرَمَ الأُمَمْ

وَرَاعَ العِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ كَنَبْـــــأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ المَعْزِ وَالغَنَمْ

وَلاَ قَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ بِمَا   بِهِ قَدْ حَكَوا لَحْمًا يُقَدُّ عَلَى وَضَمْ

وَكَادُوا بِمَا لاَ قُوهُ أَنْ يَغبطُوا السِّوَى   تُشَالُ مَعَ العِقْبَانِ وَالرَّخِ وَالرَّخَمْ

وَكَمْ لَيْلَةٍ تَمْضِي وَلاَ يَحْسِبُونَهَا   إِذَا لَمْ تَكُنْ عُدَّتْ مِنَ الأَشْهُرِ الحُرُمْ

غَدَا الدِّينُ ضَيْفًا حَلَّ سَاحَتَهُمْ بِكُــــلِّ قِرْمٍ إِلَى لَحْمِ العِدَا لَمْ يَزَلْ قَرِمْ

يَجُرُّ خَمِيسًا فَوْقَ سَابِحَةٍ رَمَى   بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ كَالبَحْرِ مُلْتَطِمْ

بِكُلِّ امْرِئٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٍ سَطَا   بِمُسْتَأْصِلٍ لِلكُفْرِ وَالظُّلْمِ مُصْطَلِمْ

إِلَى أَنْ غَدَا الإِسْلاَمُ مِنْ بَعْدِ غُرْبَةٍ   بِهِمْ فِي سَلاَمِ اللَّهِ مُتَّصِلَ الرَّحِمْ

وَأَصْبَحَ مَكْفُولاً بِخَيْرِ أَبٍ وَخَيْـــــرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ ذُرَاهُ وَلَمْ تَئِمْ

فَهُمْ هُمْ جِبَالٌ سَلْ مُصَادِمَهُمْ لَمَا   رَأى مِنْهُمُ فِي الحَرْبِ فِي كُلِّ مُصطَدَمْ
وَسَلْ أُحُدًا بَدْرًا حَنِينًا فَذِي فُصُولُ حَنِيفٍ لَهُمْ لاَ شَكَّ أَدْهَى مِنَ الوَخَمْ
هُمُ مُصْدِرُوا البِيضِ الَّتِي وَرَدَتْ مِنَ العِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ بِحُمْرٍ مِنَ اللَّمَمْ
هُمَ الكَاتِبُونَ بِالقَنَا فِي العِدَا فَلَمْ   تَدَعْ حَرْفَ جِسْمٍ قَدْ بَدَا غَيْرَ مُنْعَجِمْ
وَشَاكُوا السِّلَاحِ مَيَّزَتْهُمْ عَلاَمَةٌ   كَمَا امْتِيزَ فِي سِيمَا وَرَدَّ عَنِ السَّلَمْ
فَتُهْدِي إِلَيْكَ نَشْرَهُمْ رِيحُ نَصْرِهِمْ   وَكَمْ مِنْهُمُ تَحْجُو كَمِي زَهْرَةٍ بِكَمْ
كَأَنَّهُمُ نَبْتُ الرُّبَى فَوْقَ خَيْلِهِمْ   مِنَ الحَزْمِ لاَ مِنْ شِدَّةِ الرَبْطِ لِلْحُزُمْ
وَمَنْ فَرَقٍ طَارَتْ قُلُوبُ عِدَاهُمُ   فَمَا فَرَّقَتْ مَا بَيْنَ بَهْمٍ وَلاَ بُهَمْ
وَمَنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ غَدَتْ   مَتَى تُلْقِهِ الآسَادُ فِي غَابِهَا تَجِمْ
وَهَلْ مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ بِهِ   وَهَلْ مِنْ عَدُوٍّ ظَهْرُهُ غَيْرُ مُنْقَصِمْ
وَأُمَّتُهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ غَدَتْ   كَلَيْثٍ مَعَ الأَشْبَالِ قَدْ حَلَّ فِي أَجَمْ
وَكَمْ جَدَّلَ القُرْآنُ مِنْ جَدِلٍ وَفِيهِ قَدْ خَصَمَ البُرْهَانُ بِالحقِّ مِنْ خَصِمْ
كَفَى العِلْمُ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً جَلَتْ   وجَلَّتْ مَعَ التَّأْدِيبِ فِي حَالَةِ اليُتُمْ
مَدِيحِي لَدَيْهِ أَسْتَقِيلُ بِهِ ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ وَاللَّهْوِ وَالخِدَمْ
هُمَا قَلَّدَانِي مَا خَشِيتُ مَآلَهُ   كَأَنِّيَ مِنْ هَذَيْنِ هَدْيٌ مِنَ النَّعَمْ
وَفِي الحَالَتَيْنِ قَدْ أَطَعْتُ الصِّبَا فَلَمْ   أُحَصِّلْ سِوَى الآثَامَ وَالهَمَّ وَالنَّدَمْ
فَيَا خَسَرَ نَفْسِي فِي تِجَارَتِهَا فَلَمْ   تَكُ اشْتَرَتِ الأُخْرَى بِدُنْيَا وَلَم تَسُمْ
وَبَائِعُ مَا يَبْقَى بِعَاجِلِهِ يُرَى   قَرِيبًا لَدَيْهِ الغَبْنُ فِي بَيْعٍ أَوْ سَلَمْ
وَإِنِّي مَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ مِنَ النَّبِيِّ وَلاَ حَبْلِي بِذَنْبِي بِمُنْصَرِمْ
إِذَا كَانَ لِي فِي الحَشْرِ بِاليَدِ آخِذًا   نَجَوْتُ وَإِلاَّ قُلْتُ يَا زَلَّةَ القَدَمْ

حَشَا يُحْرِمُ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ وَيَـــرْجِعُ الجَارُ مِنْهُ فِي الوَرَى غَيْرَ مُحْتَرَمِ

وَمُذْ لَزِمَتْ نَفْسِي مَدَائِحَهُ وَجَدْتُـــهُ لِخَلاصِي فِي العَنَا خَيْرَ مُلْتَزِمْ

وَلَيْسَ الغِنَا مِنْهُ يَفُوتُ يَدًا بِهِ اغْـــتَنَتْ فَالحَيَاءُ يُنْبِتُ الزَّهْرَ فِي الأَكَمْ

وَلاَ أَطْلُبُ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ يَدَا زُهَيْـــرٍ بِمَا أَثْـــنَى عَلَى مُلْكِهِ هَـــرِمْ

أَمَوْلَايَ مَـــالِي مَنْ أَلُـــــوذُ بِهِ سِــــوَاكَ عِنْدَ حُدُوثِ الحَادِثِ الهَائِلِ العَمِمْ

فَجَاهُكَ بِي مَا ضَاقَ يَا سَيِّدِي إِذَا الـــكَرِيمُ تَجَلَّى لِلْـوَرَى بِاسْمِ مُنْتَقِمْ

فَمِنْ جُودِكَ الدُنْيَا وَضَرَّتَهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالعَرْشِ وَالقَلَمْ

فَلَا تَقْنَطِي يَا نَفْسُ مِنْ عُظْمِ زَلَّتِي فَإِنَّ كَبِيرَ الذَّنْبِ فِي الغُفْرِ كَاللَّمَمْ

عَسَى رَحْمَة الرَّحْمَانِ فِي حَالِ قَسْمِهَا تُوَافِي عَلَى مِقْدَارِ ذَنْبِي فِي القِسَمْ

فَيَا رَبِّ وَاجْعَلْ غَيْرَ مُنْعَكِسٍ رَجَـــاءَ عَبْدِكَ وَاجْعَلْ عَدُّهُ غَيْرَ مُنْخَرِمْ

وَبِي الطُفْ لَدَى الدَّارَيْنِ يَا سَيِّدِي فَلِي اصْـــطِبَار مَتَى الأَهْوَالُ تَدعُهُ يَنْهَزِمْ

وَسُحْبُ صَلَاةٍ مِنْكَ تَتْرَى عَلَى النَّبِي بِأَعْظَمِ مُنْهَلٍّ وَأَكْمَلِ مُنْسَجِمْ

عَلَى طُولِ رَقْصِ البَانِ فِي حَضْرَةِ الصَّبَا وَإِطْرَابِ حَادِي العِيسِ عِيسَهُ بِالنَّغَمْ